

قبس قرآني..

مواجهة الجاهلية



الإسلام العامة للعبادة الكاظمية المقدسية
قسم الثقافة والإعلام
السنن والعقيدة والتفكير



قبس قرآني..

مواجهة الجاهلية



الإمامة الجامعة للعبادة والكتابية المقامسة

قسم الثقافة والإعلام

الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ
الْقُرَيْتِينَ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ
قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةٌ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

سورة الزخرف ٣١-٣٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ولا سيما بقية الله في الأرضين عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أشياعه وأتباعه والذابين بين يديه.

في غمرة احتفالاتنا في شهر شعبان المعظم بولادة خمسة من أبطال مواجهة الجاهلية، لا ننسى عدل العترة وهو القرآن الكريم بل نرجع إليه ونأخذ قبساً منه يخص المواجهة وخلفياتها ونستعين به، فهو أحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله ﷺ في الأمة وجعلهما سبباً لهداية الأمة وعدم ضلالها، بل جعل القرآن هو الثقل الأكبر في بعض الأحاديث وقد، وصف الله سبحانه مضمونه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

ويحكم عدم الافتراق الذي أخبر به الرسول الأكرم ﷺ عن الثقلين فلا بد أن يكون عند أهل البيت عليهم السلام تبيان كل شيء

(١) النحل/٨٩.

فتكون الأشياء المبينة في هذا الثقل مبينة أيضاً في الثقل الثاني، بل تكون مشروحة ومفصلة. وأخذ قبس قرآني في كل مناسبة من مناسبات أهل البيت عليهم السلام يؤكد هذا الاقتران الوثيق بين الثقلين ويتيح للأمة أن تسمع قرآنها وتفسره خلال هذه المواسم الولائية فتكون هذه المناسبات قرآنية كما أنها مواسم إظهار الولاء والمودة ولا تخلو بعض القبسات إن لم نقل كلها من ارتباط ما بأصحاب المناسبة كما نرى في بحثنا المتواضع هذا. نسأل الله سبحانه أن ينفع بهذا القبس القرآني ويوفقنا لقبسات أخرى إن شاء الله تعالى.. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

مواجهة الرسل ﷺ

إن ظاهرة النبوة قد رافقت البشرية منذ فجرها الأول وامتدت بامتدادها إلى أن خُتمت بأشرف رسل الله ﷺ مما يعني حاجة البشرية الماسة لهذه الظاهرة الإلهية والتي هي عبارة عن اصطفاء المولى عز وجل لبعض البشر لهداية الآخرين لخير دنياهم وأخرتهم، وهذا الاصطفاء هو فعل إلهي لا يكون عشوائياً بل يكون نتيجة علم الله سبحانه بالأصلح لهذه المهمة الضخمة ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١)، ومعنى ذلك «إن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولاً ويكون موضعاً لها و أميناً عليها، وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحببيه»^(٢). وينطبق ذلك على كل الرسل وليس من خواص خاتمهم ﷺ أضف إلى ذلك أن رسالاتهم كانت تطابق العقل السليم والفترة التي أودعها الله عند جميع الناس وعدم طلب أجر على ذلك من مال أو منصب أو غير ذلك وفوق ذلك كله آيات ومعجزات دالة دلالة واضحة على صدقهم وارتباطهم بالله سبحانه ومع ذلك اصطدموا بالرفض وبأساليب عدة.

(١) الأنعام/١٢٤.

(٢) فتح القدير ج٢/ ص ١٨٢.

الأول: التكذيب والإيذاء:

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرٌ وَعَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ آتَاهُم نَصْرُنَا﴾^(١) وهذه تسليية للنبي ﷺ وتعزية له، فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نصرُوا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة، ولهذا قال ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤) أي من خبرهم، كيف نصرُوا وأيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة»^(٥)، والملاحظ أن هذه المواجهة جرت مع كل الرسل لكن النتيجة هو انتصارهم في النهاية.

(١) الانعام / آية ٣٤

(٢) الصافات / ١٧١-١٧٣.

(٣) المجادلة / ٢١.

(٤) الأنعام / ٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٢٦.

الثاني: السخرية:

وهذه المواجهة عامة لكل الأنبياء أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَخَافَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(١)، وهنا «جملة مطوية إيجازاً، تقديرها: واستهزؤوا بك ولقد استهزأت أمم برسل من قبلك، لأن قوله من قبلك» يؤذن بأنه قد استهزئ به هو أيضاً وإلا لم تكن فائدة في وصف الرسل بأنهم من قبله لأن ذلك معلوم وحذف فاعل الاستهزاء فبنى الفعل إلى المجهول لأن المقصود هنا هو ترتب أثر الاستهزاء لا تعيين المستهزئين»^(٢).

الثالث: الرمي بالسحروا لجنون:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾^(٣)، أي «كما كذبك قومك من قريش وقالوا ساحراً أو مجنوناً كذلك فعلت الأمم التي كذبت رسلها من قبلهم وقالوا مثل مقالتهن، فهم ليسوا ببدع في الأمم، ولا أنت

(١) الأنعام/١٠.

(٢) التحرير و التوير ٦ / ٢٩.

(٣) الذاريات/٥٢.

ببدع في الرسل، فكلهم قد كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله. وفي هذا تسلية لرسوله ﷺ على احتمال الأذى والإعراض عن جد لهم، فإنهم قد أبطرتهم النعمة وغرهم الإمهال، فلا تجدي فيهم العظة ولا تنفعهم الذكرى»^(١).

الرابع: القتل:

قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٢)، أي «أفكلما جاءكم يا بني إسرائيل رسول بما لا تحبه أنفسكم الشريرة استكبرتم عن اتباعه والإيمان به وأقبلتم على هؤلاء الرسل، ففريقاً منهم كذبتم، وفريقاً آخر منهم تقتلون غير مكتمين بالكذب: «وتهوى» من هوى إذا أحب «والهوى يكون في الحق ويكون في الباطل كما في هذه الآية و«استكبرتم» أي تكبرتم، والتكبر ينشأ عن الإعجاب بالنفس الذي هو أثر الجهل بها وهو من الصفات التي متى تمكنت في النفس أوردتها المهالك، وساقها إلى سوء المصير وقدم تكذيبهم للرسل على قتلهم إياهم، لأن التكذيب أول ما يصدر عنهم من الشر»^(٣).

(١) تفسير المراغي، ١٣ / ٢٧

(٢) البقرة/٨٧.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١ / ١٩٧.

الخامس: الاعتذار لعدم الايمان ببشرية الرسول:

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١)، وملخص عذرهم «ألم يكن الأولى والأجدر أن تقع هذه المهمة وهذه المسؤولية على عاتق مخلوق أفضل كالملائكة مثلاً كي يستطيعوا أداء هذه المهمة بجدارة إذ أين الإنسان الترابي والرسالة الإلهية؟! إن هذا المنطق الواهي الذي تحكيه الآية على لسان المشركين لا يخص مجموعة أو مجموعتين من الناس، بل إن أكثر الناس وفي امتداد تأريخ النبوات قد تذرّعوا به في مقابل الأنبياء والرسول»^(٢).

مواجهة خاتم الرسل

كل المواجهات التي ذكرت وغيرها كثير، قد نالت من الرسول الأكرم ﷺ من قبل قريش وغيرها وبأعلى ما يمكن أن يمتحن العبد في أداء رسالات ربه حتى قال ﷺ «لقد أخفت في الله وما

(١) الإسراء/٩٤.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج٩/ ١٤٧.

يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذي أحد»^(١)، وقد وصف القرآن المواجهين له ﷺ باللدادة فقال عز من قائل ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٢)، و«لدودا لجوجا مفرطين في اللداد والعناد مصرين على ما هم عليه من الفسق والفساد ولا تبال يا أكرم الرسل بتماديهم في لدهم وعنادهم ولا تحزن من عتوهم وفسادهم»^(٣)، فهم ليسوا معاندين فقط بل هم مفرطون في اللجاجة والعناد وما أكثر صور لجاجهم وعنادهم، ومنها:

١- اتهام الرسول ﷺ بالتعلم من البشر رغم أن من يهتمونه بالتعلم منه «أعجمي» والقرآن الكريم «لسان عربي مبين» وهذا لا يستقيم بحال من الأحوال أن يأتي الأعجمي الذي لا يعرف العربية بكتاب يعجز عنه بلغاء العرب ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا عَلَّمَهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٤)، ومعنى هذا الافتراء «أن الذي يعلم الرسول ﷺ هذا القرآن إنما هو بشر سموه باسمه، واختلفت الروايات في تعيينه قيل: كانوا يشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم

(١) فتح الباري ابن حجر ج ١١ / ٢٥٠.

(٢) مريم ٩٧.

(٣) الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية ١ / ٥٠٩.

(٤) النحل / ١٠٣.

غلام لبعض بطون قريش، وكان يباعا يبيع عند الصفا، وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه»^(١).

٢- اقتراح المعجزات الكثيرة إذ لم يكتفوا بالقرآن وبغيره من المعجزات التي توصل غير المعاند إلى الحق لكنهم يتجاوزون كل ذلك ويطلبوا طلبات بعضها مستحيل والبعض الآخر لاعلاقة لها بصدق دعوى النبوة فذكر القرآن قولهم ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تُبْرِئَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَرَّ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تُفَجِّرُهَا كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُرْحٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ ﴾^(٢)، ف«لم يكتف المشركون بإعجاز القرآن لإثبات كونه كلام الله، وإثبات نبوة محمد ﷺ، وبعد أن أفحمتهم الحجة، وعجزوا عن الجواب المقنع، اقترحوا إنزال إحدى ست آيات من النبي ﷺ فقال: زعمواؤهم كعتبة وشيبة

(١) في ظلال القرآن ٤ / ٢١٩٥.

(٢) الإسراء ٩٠-٩٣.

ابني ربيعة وأبي جهل وأبي سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأممية بن خلف وأبي البختری: لن نصدق برسالتك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا من الماء يتدفق، وهو العين الجارية، فإننا في صحراء أو تكون لك جنة «أي بستان» من النخيل والأعناب وبقية الثمار، تتدفق فيها الأنهار وتسقى بها الزروع والأشجار أو تسقط السماء علينا كسفا، أي قطعاً قطعاً، كما زعمت أن ربك يفعل ذلك إن شاء أو تأتي بالله والملائكة معاينة ومواجهة، فيحدثونا بأنك رسول من عند الله ومعنى قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ قِيَالًا﴾ أي مقابلة وعياناً، أو ضامناً وزعيماً بتصديقك، أو يكون لك بيت من زخرف، أي من ذهب فإنك يتيم فقير والزخرف: هو ما يتزين به، من ذهب أو غيره والمراد به هنا: الذهب أو ترقى «أي تصعد» في السماء على سلم تضعها، ثم ترقى عليها، ونحن ننظر، ولن نصدق لارتقائك حتى تأتي لنا بكتاب نقرؤه، فيه تصديقك أنك رسول من عند الله وقائل هذه المقالة: هو عبد الله بن أبي أمية فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب، أي كتاب له، فيه: من الله عز وجل إلى عبد الله بن أبي أمية وطلبت جماعتهم مثل هذا الطلب فأمر الله نبيه

أن يقول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي تنزيها لله من الإتيان إليكم، مع الملائكة قبيلًا، ومن أن يخاطبكم بكتاب، كما أردتم، ومن أن أقترح على الله هذه الأشياء، وهل أنا إلا بشر منكم أرسلت إليكم بالسرعة، وإنما علي التبليغ فقط وليس للرسول أن يأتوا بشيء إلا بما يظهره الله على أيديهم بحسب الحكمة الإلهية وتوافر المصلحة للناس، وما سألتهم أو طلبتموه أمره إلى الله عز وجل، إن شاء أجاوبكم، وإن شاء لم يجبكم والواقع أنهم قوم معاندون مكابرون، لن يؤمنوا برسالة النبي ﷺ، ولو جاءت الآيات كما اقترحوا»^(١).

٣- المساومة مع الرسول الأكرم ﷺ وقد ذكر ذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَقْرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتُخَذُوكَ خَلِيلًا﴾^(٢)، و«ظاهر السياق أن المراد بالذي أوحينا إليك القرآن بما يشتمل عليه من التوحيد ونفي الشريك والسيرة الصالحة وهذا يؤيد ما ورد في بعض أسباب النزول أن المشركين سألوا النبي ﷺ أن يكف عن ذكر آلهتهم بسوء ويبعد عن نفسه عبدهم المؤمنين به والسقاط حتى

(١) تفسير الوسيط: الزحيلي ٢ / ١٣٨٧.

(٢) الإسراء ٧٣.

يجالسوه ويسمعوا منه فنزلت الآيات والمعنى: وإن المشركين اقتربوا أن يزلوك ويصرفوك عما أوحينا إليك لتتخذ من السيرة والعمل ما يخالفه فيكون في ذلك افتراء علينا لانتسابه بعملك إلينا وإذا لاتخذوك صديقا»^(١).

٤- التحجج بأكل الرسول ﷺ ومشيه في الأسواق ورميه بالجنون ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٢)، فقد «أنكروا أن يكون الرسول بشرا يأكل الطعام ويمشي في الطرق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة، والمعنى: أنه ليس بملك ولا ملك، لأن الملائكة لا تأكل، والملوك لا تتبذل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساويا للبشر لا يتميز عليهم بشيء وإنما جعله الله بشرا ليكون مجانسا للذين أرسل إليهم، ولم يجعله ملكا يمتنع من المشي في الأسواق، لأن ذلك من فعل الجبابرة، ولأنه أمر بدعائهم، فاحتاج أن يمشي بينهم، قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وذلك أنهم قالوا له: سل ربك أن يبعث معك

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص: ١٧٣

(٢) الفرقان/٨.

ملكا يصدقك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا فذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أي: ينزل إليه كنز من السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بستان يأكل من ثماره»^(١).

٥- التأمّر على النبي بسجنه أو قتله ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَأْكُرِينَ﴾^(٢)، ومعنى ذلك «واذكريا محمد وقت أن اجتمع الذين كفروا ليمكروا بك ويدبروا أمر القضاء عليك وعلى دعوتك، وعاونهم في ذلك إبليس اللعين فإن في ذلك القصص ذكرى وعبرة لك ولأمتك وفيه دليل صدقك وتأييد الله لك إنهم دبّروا لك إحدى ثلاث: إما الحبس والمنع من لقاء الناس، وإما القتل الجماعي، وإما الإخراج من أرض الوطن فهم يمكرون بك وبأصحابك، ويدبرون لك الأذى، ولكن الله يحبط مؤامراتهم ويبطل كيدهم فقد أخرجك من مكة إلى المدينة مهاجرا، وعدت إلى مكة غازيا فاتحا، وقد سمى هذا مكرا من باب المشاكلة، والله خير الماكرين لأن مكروه إعزاز للحق وأهله، ونصر للإسلام ورجاله وخذلان للباطل وحزبه»^(٣)، مما

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣/ ٣١٣.

(٢) الأنفال/٣٠.

(٣) التفسير الواضح ١/ ٨٢٤.

أضطر رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى الهجرة.

٦- المواجهة العسكرية حيث خسرت قريش أبطالها وشجعانها وأموالها وكل طاقاتها بحرب أرادت بها حرب إبادة لهذا الدين بإبادة حملته «الرسول ﷺ والمسلمين» لكن أراد الله سبحانه غير ذلك فإن المولى سبحانه يأمر المسلمين بالقتال ويجعل له غاية قلع الفتنة وهو الشرك «وكون الدين لله» فيقول سبحانه ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١)، وفي الآية «تحديد لأمد القتال كما مر ذكره، والفتنة في لسان هذه الآيات هو الشرك باتخاذ الأصنام كما كان يفعله ويكره عليه المشركون بمكة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، والآية نظيرة لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَإِنِ تَوَلَّوْا فَاَعْمُوا إِنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢)، وفي الآية دلالة على وجوب الدعوة قبل القتال فإن قبلت فلا قتال وإن رُدَّت فلا ولاية إلا لله ونعم المولى ونعم النصير، ينصر عباده المؤمنين، ومن المعلوم أن القتال إنما هو ليكون الدين لله، ولا معنى لقتال هذا شأنه

(١) البقرة/١٩٣.

(٢) الأنفال/٤٠.

وغايته إلا عن دعوة إلى الدين الحق وهو الدين الذي يستقر على التوحيد ويظهر من هذا الذي ذكرناه أن هذه الآية ليست بمنسوخة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١) بناء على أن دينهم لله سبحانه وتعالى، وذلك أن الآية أعني قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، خاصة بالمشركين غير شاملة لأهل الكتاب، فالمراد، بكون الدين لله سبحانه وتعالى هو أن لا يعبد الأصنام ويقرب بالتوحيد، وأهل الكتاب مقرون به، وإن كان ذلك كفرا منهم بالله بحسب الحقيقة كما قال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾^(٢)، لكن الإسلام قنع منهم بمجرد التوحيد، وإنما أمر بقتالهم حتى يعطوا الجزية لإعلاء كلمة الحق على كلمتهم وإظهار الإسلام على الدين كله»^(٣).

٧- اتهام الرسول ﷺ بالسحر أو الشعر أو الجنون أو الكهانة

(١) التوبة/٢٩.

(٢) التوبة/٢٩.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ٢ / ٦٣.

فالمولى سبحانه يأمر رسوله بالتبليغ وينضي عنه مسؤولية ما يختاره المشركون فأنت مبلغ عن الله سبحانه وعليك التبليغ والتذكير ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْنِ﴾^(١)، ومعنى الآية «لست بحمد الله بكاهن كما تقول الجهلة من كفار قريش، والكاهن الذي يأتيه الرأي من الجن بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ولا مَجْنُونٍ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم قال تعالى منكرا عليهم في قولهم في الرسول ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْنِ﴾ أي قوارع الدهر، والمنون الموت، يقولون ننظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبُّوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي انتظروا فإنني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة»^(٢).

(١) الطور/٢٩-٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٠٦.

قيم جاهلية

لعل ماعدنا من أساليب المواجهة قليلاً من كثير، ومن أسخف تلك الأساليب الاعتراض على شخص الرسول ﷺ بعد التغاضي عن أصل الرسالة ففي منطقتهم الجاهلي يقولون لو سلمنا أن هناك ارتباط بين السماء والأرض ولا بد من هذا الارتباط، فيتحتّم على الله سبحانه أن يختار أحد عظماء العرب من مكة أو من الطائف لأن العظمة عندهم بمقدار ما يملك الإنسان من مال وثروة ومقام عند أهل الدنيا وشهرة، بينما العظمة عند الله سبحانه شيء آخر تماماً فميزانها التقوى والتقرب إلى الله سبحانه وهم لجاهليتهم يريدون من الله أن يتبع قيمهم والله سبحانه، يريد أن يغير تلك القيم الخاطئة ويبدلها بأخرى صحيحة، فمن عاش يتيماً ولا يملك من المال شيئاً ولكن إذا كان أكثر معرفة بربه وأتقى وأقرب إليه فهو أفضل، ف«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» إذ «أن للرسالة موقعا مخصوصا لا يصلح وضعها إلا فيه فمن كان مخصوصا موصوفا بتلك الصفات التي لأجلها يصلح وضع الرسالة فيه كان رسولا، وإلا فلا، والعالم بتلك الصفات ليس إلا الله تعالى»^(١).

(١) مفاتيح الغيب ١٣ / ١٣٧.

أما منطلق الجاهلية فيذكره القرآن ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾^(١) فهم يقترحون شخصيات أخرى أمثال «الوليد بن المغيرة المخزومي من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي، وحبیب بن عمرو بن عمیر الثقفي، وعتبة بن أبي ربيعة من مكة، وكنانة بن عبد ياليل من الطائفة وكان الوليد يقول: لو كان حقًا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو علي أبي مسعود الثقفي، فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسيّة، لا التزخرف بالزخارف الدنيويّة، فرد الله سبحانه ذلك عليهم، فقال إنكارا وتجهيلا وتعجيبا من تحكّمهم ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ أي: النبوة ﴿ مَن قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها، وهي خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم، ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا في تدبير أمر المعيشة الدنيّة في الحياة الدنيا على هذه الصفة، فما ظنك بهم في أن يدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب الإنسية، ورحمة الله الكبرى، ورأفته العظمى، وما يتبعها من الفوز والفلاح في دار السلام»^(٢).

(١) - الزخرف/٣١.

(٢) زبدة التفاسير ٦ / ٢٥١.

العظيم الأول

تعال معي أيها القارئ الكريم انتعرف على مَنْ اعتبره
المشركون عظيم مكة، وماذا يقول فيه المولى عز وجل، وقد
مر بنا أنه أحد المعاندين الذين لا يقتنعون بالمعجز الكثيرة
للسول الأكرم ﷺ بل يقترحون عليه معاجز أخرى بعضها
مستحيل والبعض الآخر لا علاقة له بالنبوة ويفرد له دون
غيره من عتاة قريش أوصاف متتالية تصل إلى التسع صفات
كل واحدة منها مذمومة بنفسها فكيف إذا اجتمعت كلها في
فرد واحد ونعلم ذلك من نهي المولى سبحانه لرسوله الكريم
ﷺ عن إطاعته ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمٍّ مَنَافٍ
لِلْغَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(١)، «والحلاف» أي كثير الحلف
بالباطل «مهين» أي ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة
وهي قلة الرأي والتمييز، وقال ابن عباس: كذاب وهو قريب
من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه، قيل هو
الوليد بن المغيرة وقيل هو الأسود بن عبد يغوث وقيل هو
الأخنس بن شريق، «هماز» أي مغتاب يأكل لحوم الناس

(١) القلم/١٠-١٣.

بالتعفن والعيب وقيل هو الذي يغمز بأخيه في المجلس،
«مَشَاءَ بِنَمِيمٍ» أي فتان يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس،
«مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ» أي بخيل بالمال، وقال ابن عباس: مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ
أي يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام يقول لئن دخل واحد
منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا، «معتد» أي ظلم
يتعدى الحق، «أثيم» أي فاجر يتعاطى الإثم، «عُتْلُ» أي
غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء الخلق وقيل هو الشديد
في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل
الأكول الشراب القوي الشديد ولا يزن في الميزان شعيرة يدفع
الملك من أولئك سبعين ألفا في النار دفعة واحدة، «بعد ذلك
زنيماً» أي مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيماً وهو
الدعي الملتصق في القوم وليس منهم، قال ابن عباس: يريد مع
هذا هو دعي في قريش وليس منهم قيل إنما ادعاه أبوه بعد
ثمان عشرة سنة»^(١)

أفرايت عزيزي القاريء من هو عظيم قريش!؟ هو الدعي
الجاف الغليظ الذي يمنع الخير المعتدي الأثيم، فمن أين
أتت العظمة!؟ ويأتي الجواب من كثرة المال ووفرة البنين

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ٦ / ١٣٩.

والسيطرة على تجارة مكة وغير ذلك وهي من النعم التي يجب معرفة المنعم بها وشكره خاصة مع وضوح البيان والافتناع بقرارة النفس بحقانية الرسالة ما استوجب الوعيد الإلهي ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّه كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا سَأَرَّهُنَّ صَعُودًا إِنَّه فَكَرَ وَقَدَّرَ فَمَنْ قَدَّرَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(١)، فإنها نزلت فيه فقد «كان شيخا كبيرا مجربا من دهاة العرب، وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقعد في الحجرة ويقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة فقالوا: يا أبا عبد شمس، ما هذا الذي يقول محمد، أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه فدنا من رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أنشدني من شعرك قال: «ما هو شعر، ولكن كلام الله الذي ارتضاه ملائكته وأنبيائه ورسوله» فقال: اتل علي منه شيئا فقرأ عليه رسول الله ﷺ حم السجدة، فلما بلغ قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ يا محمد، يعني قريشا ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فاقشعر الوليد، وقامت كل شعرة على رأسه ولحيته،

(١) المدثر/١١-٢٥.

ومر إلى بيته، ولم يرجع إلى قريش من ذلك فمشوا إلى أبي جهل، فقالوا: يا أبا الحكم، إن أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد، أما تراه لم يرجع إلينا؟ فغدا أبو جهل إلى الوليد، فقال له: يا عم، نكست رؤوسنا وفضحتنا، وأشمت بنا عدونا، وصبوت إلى دين محمد! فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكني سمعت منه كلاما صعبا تقشعر منه الجلود، فقال له أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا، إن الخطب كلام متصل، وهذا كلام منثور، ولا يشبه بعضه بعضا، قال: فشعر هو؟ قال: لا، أما إنني قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملةا ورجزها وما هو بشعر، قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه فلما كان من الغد قالوا له: يا أبا عبد شمس، ما تقول فيما قلنا؟ قال: قولوا هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس فأنزل الله عز وجل على رسوله في ذلك ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ وإنما سمي وحيدا لأنه قال لقريش: إنني أتوحد بكسوة البيت سنة، وعليكم بجماعتكم سنة وكان له مال كثير وحدايق، وكان له عشر بنين بمكة، وكان له عشرة عبيد، عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، ومالك القنطار في ذلك الزمان، ويقال: إن القنطار جلد ثور مملوء ذهباً، فأنزل الله عز وجل ﴿ذَرْنِي وَمَنْ

خَلَقْتُ وَحِيداً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى... صَعُوداً ﴿١﴾. وكانت نهايته هو ومجموعته من المستهزئين بالرسالة الإسلامية إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية وهي مرحلة الصدع بالدعوة ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّكَ لِنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٢)، والمستهزؤون هم «الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الأسود بن المطلب والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فقال أرني إياهم، فأراه الوليد، فأوماً جبريل إلى أكحله فقال: ما صنعت شيئاً؟ قال: كفيته، ثم أراه الأسود ابن المطلب فأوماً إلى عينيه فقال: ما صنعت شيئاً؟ قال كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأوماً إلى رأسه فقال: ما صنعت شيئاً؟ قال: كفيته، ثم أراه الحرث فأوماً إلى بطنه فقال ما صنعت شيئاً؟ فقال: كفيته، ثم أراه العاص بن وائل فأوماً إلى أخمصه فقال: ما صنعت شيئاً، فقال: كفيته، فأما الوليد فممر برجل من خزاعة وهو يربش نبلا فأصاب أكحله فقطعها وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمرة فجعل يقول يا بني

(١) البرهان في تفسير القرآن ٥ / ٥٢٦.

(٢) الحجر/٩٤-٩٥.

ألا تدفعون عني قد هلكت فطعن بالشوك في عينيه، فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة فدخل في أخمص قدمه شوكة فقتلته»^(١).

العظيم الثاني

عروة بن مسعود الثقفي سيد من سادات ثقيف كان ذا مال واسع وأولاد كثيرين وجاه واسع وكان لوجهته أصبح الواسطة بين قريش وبين رسول الله ﷺ في عام الحديبية سنة ٦ هجرية ورجع معجباً بشخصية الرسول الأكرم ﷺ والتفات المسلمين حوله فقال لقريش «يا قوم، أني وفدت على الملوك، على كسرى وهرقل والنجاشي، واني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهرائيه من محمد في أصحابه! والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، ويكفيه أن

(١) الدر المنثور في تفسير المأثور / ١٠٨.

يشير إلى أمر فيضعل، وما يتنخم وما يبصق إلا وقعت في يد رجل منهم يمسح بها جلده! وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء! وقد حرزت القوم وأعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم، وقد رأيت قوما ما يبألون ما يصنع بهم إذا هم منعوا وحموا صاحبهم، والله لقد رأيت معه أناساً لا يسلمونه على حال أبدا! فروا رأيكم، وإياكم والوهن في الرأي، وقد عرض عليكم خطة فمادوه! يا قوم اقبلوا ما عرض، فإني لكم ناصح، مع أنني أخاف أن لا تنصروا عليه فإنه رجل أتى هذا البيت معظما له معه الهدى ينحره وينصرف! فقالوا له: يا أبا يعفور، لا تتكلم بهذا، ولو غيرك تكلم بهذا للمناه، ولكن نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع، إلى قابل»^(١).

ولم نعرف من أخباره شيئا إلا أنه كان ضمن جماعة من بني ثقيف في سنة ٩ للهجرة فالتقوا بالرسول الأكرم ﷺ فلما انصرف ﷺ عنهم اتبعه عروة «حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام. فقال له رسول الله ﷺ كما يتحدث قومه: أنهم قاتلوك وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم، فقال عروة: يا

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي محمد هادي اليوسفي ٢ / ٦١٧.

رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم، وكان فيهم كذلك محببا مطاعا، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم، فلما أشرف على عليّة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله فيزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك ويزعم الأحناف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب يقال له وهب بن جابر، فقيل لعروة ما ترى في ديتك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفونوني معهم، فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه»^(١)، فكان بهذه الشهادة على أثر دعوته لقومه للإسلام عظيماً عند الله وفي ذلك عبرة بأن الأموال الكثيرة والأولاد والجاه لا يمنع من أن يجتمع ذلك مع الإيمان والتقوى بل يصل إلى الشهادة وهي النعمة التي تحدث عنها رسول الله ﷺ «فوق كل برّ برّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله فإذا قتل

(١) السيرة النبوية ابن كثير ٥٤/٤.

في سبيل الله عز وجل فليس فوَّقه برّ»^(١)، وعلى كل حال فبعد شهادة هذا العظيم «خرج أبو مرة وأبو المليح ابنا عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلماه بقتل أبيهما وأسلما ولأبي مرة بنت اسمها ليلى تزوجها الحسن بن علي وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب»^(٢). وبمراجعة الكتب التاريخية تكشف خطأ ابن حجر أو نساخ الكتاب فإن ليلى بنت أبي مرة هي زوجة الحسين عليه السلام وليست زوجة الحسن عليه السلام وهي والدة علي الأكبر عليه السلام.

رواسب الجاهلية

خلال ثلاثة وعشرين عاماً حاول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قلع كل القيم الجاهلية في المجتمع الإسلامي وقد نجح في ذلك مع من هو أهل لذلك التغيير أما من ليس كذلك فنجد أنه لم يتأثر والسبب لا يعود إلى تقصير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في أداء رسالة ربه أو غير ذلك بل لعدم قابلية المدعو لذلك، وهناك

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي ٧١ / ٧٠.

(٢) الإصابة ابن حجر ٧ / ٣٠٧.

صور كثيرة تدل على ذلك ومنها أن أحد أولاد «عظيم مكة» قد أسلم وكان قائداً عسكرياً مجرباً - وكان قائد الحملة التي كسرت المسلمين في واقعة أحد - فبعثه الرسول الأكرم ﷺ بعد فتح مكة إلى بني جذيمة «داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم ومد ليج وقبائل من غيرهم فلما نزلوا على الغميصاء وهي ماء من مياه بني جذيمة ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة على جماعتهم وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة وكانا أقبلتا تاجرين من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما فلما كان الإسلام وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد سار حتى نزل ذلك الماء فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم عن رجل من بني جذيمة قال لما أمرنا خالد بوضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، ثم ما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً، قال فأخذته رجال

من قومه فقالوا يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأمن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثم دعا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظري أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم به فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدي ميلغة الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم قالوا: لا، قال فإني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال أصبت وأحسنت ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه

حتى إنه ليرى بياض ما تحت منكبیه وهو يقول اللهم إني
أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات»^(١).

ونفهم من قول رسول الله ﷺ «اجعل أمر الجاهلة تحت
قدميك» أن أمر هذا القائد أمر جاهلية ونجد هذا الأمر
واضحاً في تأريخ آخر «لما قدم خالد بن الوليد على النبي ﷺ
يعني بعدما صنع ببني جذيمة ما صنع عاب عبد الرحمن بن
عوف على خالد ما صنع قال يا خالد أخذت بأمر الجاهلية
قتلتهم بعمك الفاكه قاتلك الله، قال وأعانه عمر بن الخطاب
على خالد فقال خالد أخذتهم بقتل أبيك فقال عبد الرحمن
بن عوف كذبت والله لقد قتلت قاتل أبي بيدي وأشهدت على
قتله عثمان بن عفان ثم التفت إلي عثمان فقال أنشدك الله
هل علمت أنني قتلت قاتل أبي فقال عثمان اللهم نعم، ثم
قال عبد الرحمن ويحك يا خالد ولو لم أقتل قاتل أبي كنت
تقتل قوما مسلمين بأبي في الجاهلية، قال خالد ومن أخبرك
أنهم أسلموا فقال أهل السرية كلهم يخبروننا أنك وجدتهم
قد بنوا المساجد واقروا بالإسلام ثم حملتهم على السيف
قال جاءني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أغير

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٤٢ .

عليهم فأغررت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغالظ عبد الرحمن وأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد وغضب عليه»^(١)، وإذا كان الأمر أمر جاهلية ورسول الله ﷺ حي يرزق بين ظهرانيتهم، فكيف لنا أن نأمن من القوم أن يعيدوها جاهلية فيكونوا سيفاً مسلولاً بيد الدولة التي جاءت بخلاف أمر الله وأمر الرسول، وعندما يتعدى هذين الأمرين يكون الأمر أمر جاهلية فمرة تأمره بفتح العراق فيفعل ومرة تأمره أن يهجم على بيت الطاهرين فيفعل وقد ترك بعد موته ولدين المهاجر وعبد الرحمن فأما «المهاجر كان علوي الرأي جدا وكان أخوه عبد الرحمن بخلافة شهد المهاجر صفين مع علي عليه السلام وشهدا عبد الرحمن مع معاوية وكان المهاجر مع علي عليه السلام في يوم الجمل وفقئت ذلك اليوم عينه»^(٢)، وأما عاقبة أخيه عبد الرحمن ف«قد عظم شأنه بالشام ومال إليه أهلها لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ولغنائته عن المسلمين في أرض الروم وبأسه حتى خافه

(١) تأريخ مدينة دمشق ابن عساکر ١٦ / ٢٣٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ١١ / ٧٠ .

معاوية وخشي على نفسه منه لميل الناس إليه فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يوليه جباية خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض ممالিকে فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وولاه خراج حمص ووضع عنه خراجه»^(١)، وهذه التصفية ضمن تصفيات كثيرة هدفها التمهيد لملك يزيد والرجوع بالأمة إلى الجاهلية.

عودة الجاهلية

نستطيع ان نؤرخ لعودة الجاهلية بصعود أعداء الإسلام القدامى سدة الحكم ونستطيع أن نقتنص الكثير من النصوص في أن التغيير والتبديل حدث بعد رسول الله ﷺ بمدة قصيرة فهذا الزهري يحدث فيقول: «دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد

(١) تأريخ الطبري ج ٤/١٧٢.

ضيعت»^(١) وإذا عرفنا من حديث آخر إن الصلاة آخر العُرى الإسلامية المنقضة عرفنا أن التبديل والتغيير بدأ من زمن بعيد من بكاء أنس في دمشق فقد روى أبو إمامة الباهلي «أن رسول الله ﷺ قال لتنتقض عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبثت بالتي تليها وأول نقضها الحكم وآخرها الصلاة»^(٢)، وقمة هذا الانحراف أن تصل الفئة الباغية على لسان رسول الله ﷺ إلى الحكم وتبدأ بالتهيئة والترتيب إلى ملك يزيد وتحويلها إلى ملك عضوض وذلك بالتصفيات الجسدية وبالترهيب والترغيب، رغم أن رأس الفئة الباغية يعرف أن هذا حق لأهل البيت ﷺ فرضه الدين الإسلامي أولاً وفرضته المعاهدة المبرمة بينه وبين الإمام الحسن ﷺ.

(١) صحيح البخاري ١ / ١٣٥

(٢) المستدرک الحاكم النيسابوري ٤ / ٩٣

مع علي الأكبر

من علامات النفاق خلف الوعد مع علمه الذي لا يشوبه شك في تلك الأحقية، فقد قال معاوية يوماً لجلسائه «مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ؟ قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: لَا، أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَفِيهِ شَجَاعَةُ بَنِي هَاشِمٍ وَسَخَاءُ بَنِي أُمِيَّةٍ وَزَهْوُ ثَقِيفٍ»^(١) وفي هذا التقييم ملاحظات:

١. تجاوز الإمام الحسين عليه السلام فهو أفضل من ابنه ذاتاً ونسباً.
٢. تميع أمر الخلافة وجعل مؤهلات صاحبها منحصرة بوراثة الأعمام والأخوال.
٣. فيه دلالة على أن علياً الأكبر عليه السلام كبير السن ومعروف في تلك الأوساط الحكومية.
- ٤- غياب المقاييس الإسلامية عدا نسبه لجدده عليه السلام.
٥. محاولة دمج بني أمية ووصفهم بالسخاء مع قبيلتين معروفتين فعلاً بالشجاعة والزهو.

(١) مقاتل الطالبين ابو الفرج الاصفهاني / ٥٣

وقد روت الرواة «دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ إلا ما أخذت من ماله بغير علمه فهل علي في ذلك من جناح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»^(١) فإذا كان أبوه لا يعطي زوجته ما يكفي لنفقة أبنائه وتضطر الأم للأخذ من مال الزوج بلا علمه لتعيش هي وأبناؤها فأين الكرم الأموي!؟

أما شجاعة بني هاشم فهي معروفة مشهورة وقد شهد رسول الله ﷺ بذلك فقال «لو أن أبا طالب ولد الناس كلهم لكانوا أشداء أقوياء»^(٢) أما عظمة ثقيف فإن جد هذه العائلة قد شهدت قريش الكافرة بعظمتته وعرفنا من سيرته أنه أذعن للحق لما عرفه وآمن به بل استشهد في سبيله وهي غاية العظمة وبذلك تجتمع له العظمة عند الخالق وعند الخلق.

(١) صحيح مسلم/ مسلم النيسابوري ٥ / ١٣٠

(٢) شرح الأخبار/ القاضي النعمان المغربي ١ / ٣٠٨

مواجهة الطف

في واقعة الطف كان هناك صفان صف يمثل النبوة بكل قيمها ولذلك نقرأ في زيارة سيد هذا الصف «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله السلام عليك يا وارث موسى كليم الله السلام عليك يا وارث عيسى روح الله السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين»^(١)

بينما يمثل الخط الثاني الجاهلية بكل قيمها خط مواجهة الأنبياء عليهم السلام لكن ليس بلباس الكفر الصريح بل بلباس الكفر الباطن وهم كما وصفهم سيد الشهداء «عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان وعصبة الآثام ومحرفي الكتاب ومطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي عترة الأوصياء وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون وأنتم ابن حرب وأشياعه تعضدون وعنا تخاذلون»^(٢) ومقابل الآلاف بهذه الأوصاف

(١) مفاتيح الجنان/٥٠١

(٢) .لواعج الأشجان السيد محسن الأمين/١٣١

وقف أقل من مائة رجل لا يرجون نصراً عسكرياً بل هو القتل المحقق وكانوا يسارعون إليه بمحض إرادتهم وقد شهد لهم عدوهم بالبسالة ورباطة الجأش فقد « قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك أقتلتم ذرية رسول الله؟ فاندفع قائلاً: عضضت با لجندل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفضلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يمينا وشمالا، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، والاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويدا لأتت على نفوس العسكر بحذافيره، فما كنا فاعلين لا أم لك...»^(١) ووصف بعض الشعراء هذه البسالة النادرة بقوله:

«فلو وقفت صم الجبال مكانهم

مادت على سهل ودكت على وعر

فمن قائم يستعرض النبل وجهه

ومن مقدم يرمي الأسنة بالصدر»^(٢)

(١) . شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد / ٣ / ٢٦٣.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام / الشيخ باقر شريف القرشي / ١ / ١٢٠/

وقد قاتل أصحاب الحسين عليه السلام حتى صُرعوا جميعاً فجاء دور أهل بيت الحسين عليه السلام فكان أول من برز هو علي الأكبر عليه السلام ابن الإمام الحسين عليه السلام «وكان من أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا وكان عمره تسع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقيل خمس وعشرون سنة وهو أول قتيل يوم كربلا من آل أبي طالب فاستأذن أباه في القتال فأذن له ثم نظر إليه نظرة آيس منه وأرعى عينيه فبكى ثم رفع سبابتيه نحو السماء وقال: اللهم كن أنت الشهيد عليهم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه، اللهم امنعهم بركات الأرض وفرقهم تضيقا ومزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاية عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا، وصاح يا ابن سعد قطع الله رحمك ولا بارك لك في أمرك وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته وتلا «إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم»

فشد عليّ على الناس وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أحامي عن ابي

ضرب غلام هاشمي علوي»^(١)

وهذا الغلام الهاشمي العلوي كجده أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يبالي أوقع الموت عليه أو هو وقع على الموت، يدلنا على ذلك الرواية التالية والتي تتحدث عن بعض أحداث الطريق من مكة إلى كربلاء «سار الحسين عليه السلام وسار الحر في أصحابه يسايره وهو يقول له: إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال الحسين عليه السلام: «أفبالموت تخوفني؟! وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه ابن عمه وقال: إنك مقتول فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه

وفارق مثبورا وودع مجرما

(١) لواعج الأشجان/ السيد محسن الأمين / ١٧٠/

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه. قال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعة فخفق ﷺ هو على ظهر فرسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين» ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، فأقبل إليه علي بن الحسين ﷺ على فرس فقال: يا أبة فيم حمدت الله واسترجعت؟ قال: «يا بني، إني خفقت خفقة فعنَّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعتب إيلينا». فقال له: يا أبة لا أراك الله سوءا، ألسنا على الحق؟ قال: «بلى والذي إليه مرجع العباد». قال: فإننا إذن لا نبالي أن نموت محقين. فقال له الحسين ﷺ: «جزاك الله من ولد خير ما جرى ولدا عن والده»^(١).

ومن مجموع الخبرين السالفين نستطيع أن نتعرف على شخصية علي الأكبر ﷺ فهو

١. شبيه رسول الله ﷺ بالخلق.

٢. شبيه رسول الله ﷺ بالأخلاق.

٣. شبيه رسول الله ﷺ بالمنطق.

(١) إعلام الوری بأعلام الهدی الشیخ الطبرسی ١ / ٤٥١

٤. لا يبالي بالموت ما دام محقاً.

٥. مقاتل هو أولى الناس بالنبي ﷺ ولا يرضى بحكم ابن
الدعي.

٦. جهاده في سبيل حماية الإمام المعصوم وهو سبيل الله.

٧. إنه قد جمع بين طاعة الله وبر الوالدين، وهما أمران قد
قرنهما الله معا عندما قال:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فجمع
بإيمانه الراسخ رضا الله ورضا الوالدين ولم يتوان لحظة
في الذب عن إمام زمانه، ولم يخطر على باله أنه ما زال شاباً
لم ير الحياة بعد.. ولم يشبع من الدنيا.

ويستطيع الشباب المسلم أن يقتدوا بهذا الشاب وبأولئك
الأنصار ليكونوا مؤهلين لنصرة الإمام المنتظر ﷺ لأنه من
المحتوم مواجهة الإمام ﷺ للجاهلية، ومواجهتها له، عند
ظهوره المبارك إن شاء الله تعالى.

جعلنا الله وإياكم من أنصاره
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المصادر بعد القرآن الكريم

- فتح القدير.....الشوكاني
- تفسير القرآن العظيم ابن كثير
- التحرير والتنوير ابن عاشور
- تفسير المراغي المراغى أحمد بن مصطفى
- التفسير الوسيط الطنطاوى سيد محمد
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي
- فتح الباري..... ابن حجر العسقلاني
- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية.... النخجوانى نعمت الله
- في ظلال القرآن سيد قطب
- تفسير الوسيط الزحيلي
- الميزان في تفسير القرآن الطباطبائي

زاد المسير في علم التفسير ابن القيم
التفسير الواضح حجازي محمد محمود
مفاتيح الغيب..... الفخر الرازي
زبدة التفاسير الكاشاني ملا فتح الله
لباب التأويل في معاني التنزيل البغدادي علاء الدين
البرهان في تفسير القرآن هاشم البحراني
الدر المنثور في تفسير المنثور..... السيوطي جلال الدين
موسوعة التاريخ الإسلامي..... محمد هادي اليوسفي
السيرة النبوية ابن كثير
بحار الأنوار..... المجلسي
الإصابة ابن حجر العسقلاني
تأريخ الطبري الطبري
تأريخ مدينة دمشق ابن عساكر

شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد

الجامع الصحيح البخاري

المستدرک الحاكم النيسابوري

مقاتل الطالبين أبو الفرج الأصفهاني

صحيح مسلم مسلم النيسابوري

شرح الأخبار القاضي النعمان المغربي

مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي

لواعج الأشجان السيد محسن الأمين

حياة الإمام الحسين عليه السلام الشيخ باقر شريف القرشي

إعلام الوري بأعلام الهدى الطبرسي

الفهرس

- ٣..... المقدمة
- ٥..... مواجهة الرسل ﷺ
- ٩..... مواجهة خاتم الرسل
- ١٨..... قيم جاهلية
- ٢١..... العظيم الأول
- ٢٦..... العظيم الثاني
- ٢٩..... رواسب الجاهلية
- ٣٤..... عودة الجاهلية
- ٣٦..... مع علي الأكبر
- ٣٧..... مواجهة الطف



إن ظاهرة النبوة قد رافقت البشرية منذ فجرها الأول وامتدت بامتدادها إلى أن ختمت بأشرف رسل الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يعني حاجة البشرية الماسة لهذه الظاهرة الإلهية والتي هي عبارة عن اصطفاء المولى عز وجل لبعض البشر لهداية الآخرين لخير دنياهم وآخرتهم، وهذا الاصطفاء هو فعل إلهي لا يكون عشوائياً بل يكون نتيجة علم الله سبحانه بالأصلح لهذه المهمة الضخمة (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)، ومعنى ذلك إن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولاً ويكون موضعاً لها و أميناً عليها، وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحببيه. وينطبق ذلك على كل الرسل وليس من خواص خاتمهم صلى الله عليه وآله وسلم أضف إلى ذلك أن رسالاتهم كانت تطابق العقل السليم والفترة التي أودعها الله عند جميع الناس وعدم طلب أجر على ذلك من مال أو منصب أو غير ذلك وفوق ذلك كله آيات ومعجزات دالة دلالة واضحة على صدقهم وارتباطهم بالله سبحانه ومع ذلك اصطدموا بالرفض وبأساليب عدة.